

قلب الإسناد في كلام العرب

م . م . عماد علوان حسين

بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية / العدد (٢٣) تموز ٢٠١٠م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على رسوله الأمين وآله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .
أما بعدُ :

فإن الظواهر اللغوية التي تتطوي عليها اللغة العربية وتضمها بين اكنافها على اختلاف أنواعها النحوية والصرفية والبلاغية والصوتية كثيرة جداً، وقد تأتي على خلاف مقتضى الظاهر لكلام العرب ، وهي . أي تلك الظواهر . بذلك تكون قد أغنت اللغة وأثرتها وجعلت منها لغة حية تتفاعل مع محيطها وبيئتها فاحتلت نتيجة لذلك الصدارة وأذهلت أهل الصنعة قديماً وحديثاً .

ومنها ظاهرة القلب فهو بشكل عام وما يمكن أن نصلح عليه بـ (القلب المعنوي) ^(١) بشكل خاص ظاهرة لفظية ومعنوية وأسلوب لغوي وفن بلاغي استعملته العرب في كلامها شعراً ونثراً فكان له مزية بأن مد كلامها بالفصاحة والملاحة .
لقد استرعت هذه الظاهرة انتباه علماء اللغة فرصدوها بأشكالها المختلفة بحثاً وتدويناً ، فمنها ما يتعلق بالمفردة بناءً وتصرفاً وهذا ما يطلق عليه في فن الصرف بالقلب والإبدال ، ومنها ما يتعلق بالتركيب والجملة إسناداً وتركيباً وهذا ما يمكن أن نطلق عليه في فن النحو بالقلب المعنوي ، وكان من أوائل الذين رصدوا هذه الظاهرة

^(١) هذا المصطلح استعمله بهذا اللفظ الالوسي في تفسيره روح المعاني ١٩/٧٢ في معرض رده على الزمخشري.

الفراء في كتابه (معاني القرآن) وابن السكيت في كتابه (التوسعة في كلام العرب) ، وافرد له ابن هشام صفحات في مغني اللبيب ووضعه تحت عنوان : القاعدة العاشرة من فنون كلامهم القلب ، وذكر الزركشي في برهانه أنواعه وتابعه السيوطي في الإتقان .

وللتعرف على القلب المعنوي لا بد لي من الكلام ولو بشيء قليل من التفصيل على القلب الذي يتعلق بالتركيب والجمال في اللغة العربية وأنواعه لكي يأتي البحث متكاملًا قد استوفى ما أمكن أهدافه وليعطي صورة واضحة عن هذه الظاهرة.

فالقلب لغةً : هو الفؤاد ، وَقَلْبْتُ الشيءَ فانقلبَ وتقلبَ الشيءَ ظَهراً لبطنٍ^(١) ، ومنه قَلْبَ رِدَاءَهُ جَعَلَ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ^(٢) ، وَقَلْبْتُ الشيءَ فانقلبَ أي انكَبَّ وَقَلْبْتُه بيدي تَقْلِيْباً وكلام مَقْلُوبٌ وقد قَلْبْتُه فانقلبَ^(٣) .

وإصطلاحاً عند علماء العربية: ظاهرة معنوية ولفظية تأتي على خلاف مقتضى الظاهر فيقع احد أجزاء الكلام مكان الآخر والآخر مكانه على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر ، فيجوز نحو عرضت الناقة على الحوض، مكان عرضت الحوض على الناقة أي : أظهرته عليها لتشرب^(٤) .

وقد اختلف علماء العربية في وقوعه في كلام الله عز وجل بين منكر ومثبت ومفصل :

فانكر قوم ذلك ((لأنه عكس المطلوب ونقيض المقصود))^(٥) منهم حازم القرطاجني واحتج بأنه مما يجب أن ينزه كلام الله عنه ، لان العرب إن صدر منهم فبقصد العبث أو التهكم أو المحاكاة أو حال الاضطرار ، والله منزه عن ذلك^(١) .

(١) ينظر : الصحاح مادة (قلب) ٩١/٢ ، تاج العروس ٨٧٢/١ : المحكم والمحيط الأعظم ٥٨/٣

(٢) ينظر : المغرب مادة (ق ل ب) ٣١٤/٤ .

(٣) ينظر : اللسان مادة (ق ل ب) ٦٨٥/١ .

(٤) ينظر : مفتاح العلوم ٩١ ، مختصر السعد ١٢٦ ، معاهد التنصيص ٦٣/١ .

(٥) ينظر : مختصر السعد ١٢٦ .

وذهب أبو حيان إلى أنه لا ينبغي أن نحمل القرآن على القلب ، إذ الصحيح في القلب أنه مما يضطر إليه في الشعر . وإذا كان المعنى صحيحاً واضحاً مع عدم القلب ، فأى ضرورة تدعو إليه ؟ (٢) .

وقال القرطبي : إن دعوى القلب على لفظ كتاب الله من غير ضرورة يدفع إلى ذلك عجز وسوء نظر ؛ لأن الكلام يخرج على وجهه ورفسه (٣) .

وأثبتته جماعة منهم المبرد (٤) مطلقاً بشرط عدم اللبس ، وممن أثبته الزمخشري في آيات منها ، قوله تعالى ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ (٥) فقال : ويجوز أن يراد : عرض النار عليهم من قولهم : عرضت الناقة على الحوض ، يريدون : عرض الحوض عليها فقلبوها (٦) .

وقبله السكاكي مطلقاً فقال : ((وإن هذا النمط مسمى فيما بيننا بالقلب وهي شعبة من الإخراج لا على مقتضى الظاهر ولها شيوخ في التراكيب وهي مما يورث الكلام ملاحه ولا يشجع عليها إلا كمال البلاغة تأتي في الكلام وفي الأشعار وفي التنزيل)) (٧) . وجعل الجوهري منه في الكلام أدخلت القلنسوة في رأسي (٨) .
وفصل قوم آخرون منهم القزويني ، فان تضمن اعتباراً لطيفاً والارْدُّ ورفض فجعل منه قول الشاعر :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه (٩)

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٣٢ .

(٢) البحر المحيط ٥٥/١٠ .

(٣) تفسير القرطبي ٣٣/٣ .

(٤) ما اتفق لفظه واختلف معناه ٣٨٤ .

(٥) سورة غافر : ٤٦

(٦) الكشف ٣٠١/٦ .

(٧) مفتاح العلوم ٩١ .

(٨) نسب ابن هشام ذلك له ولم أجده في الصحاح ، ينظر : مغني اللبيب ٩١٣/٢ .

(٩) البيت لرؤية في ديوانه ٣ ، وينظر : الصاحبي في اللغة ٥١ ، مغني اللبيب ٩١٢/٢ ، الأشباه والنظائر ٢٩٦/٢ ، خزنة الأدب ٤٥٨/٦ ، شرح التصريح ٣٣٩/٢ ، معاهد التنصيص ٦٣/١ .

أي كأن لون سمانه لغبرتها لون أرضه، فعكس التشبيه للمبالغة^(١) ، أما قوله تعالى ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾^(٢) فليس عنده من قبيل القلب، إذ ليس في تقدير القلب اعتبار لطيف ، وتقدير الآية عنده : أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا، وكذا قوله تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾^(٣) أي : ثم أراد الدنو من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فتعلق عليه في الهواء^(٤) .

وقد قسم علماء العربية القلب على أقسام هي :

١- قلب الإسناد : ويعرف اصطلاحاً بأنه إسناد الفعل أو الاسم إلى شيء والمراد به غيره توسعاً في المعنى ومبالغة في الكلام^(٥) ، وهو قسمان : قلب المبتدأ خبراً والخبر مبتدأً ، وقلب الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً، وسيأتي الكلام عليهما مفصلاً.

٢- قلب العطف : وهو أن تجعل المعطوف عليه معطوفاً والمعطوف معطوفاً عليه^(٦) ، وجعلوا منه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ ﴾^(٧).

٣- قلب التنبيه بالأفراد^(٨) : وهو أن تقلب المفرد مثني والمثني مفرداً ، ونقل الجوهري قولاً منسوباً إلى بعضهم في قوله تعالى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾^(٩) أن أصله : قابا قَوْسٍ ، لأنَّ القابُ هو ما بين المَقْبِضِ والسِيَةِ ولكلِّ

(١) ينظر : مغني اللبيب ٩١٣/٢ ، شرح الدماميني ٥٦٩/٢ .

(٢) سورة الأعراف : ٤ .

(٣) سورة النجم : ٨ .

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة ٢٥ .

(٥) ينظر : معاهد التنصيص ٦٣/١ ، البرهان في علوم القرآن ٦٣٤ .

(٦) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٣٣ ، الإتقان في علوم القرآن ١٠٣/٢ .

(٧) سورة النحل : ٩٨ .

(٨) ينظر : مغني اللبيب ٩١٤/٢ .

(٩) سورة النجم : ٩ .

قوسٍ قابان ، فقلبه^(١) . قال ابن هشام : وهو حسن إن فسرت القاب بما بين مقبض القوس وسيتها ، أي : طرفها ، ولها طرفان فله قابان^(٢) ، ومثله قول الشاعر :

إِذَا أَحْسَنَ ابْنُ الْعَمِّ بَعْدَ إِسَاءَةٍ فَلَسْتُ لِشَرِّي فِعْلُهُ بِحَمُولٍ^(٣)

أي : فلست لشر فعليه الحسن والقبيح فقلب^(٤) ، والمعنى : أي لست متحملاً لشر الفعلين ، فهو له فعلاين ولا يتحمل احدهما وهو الإساءة^(٥) .

٤- قلب التشبيه^(٦) : وهو أن تعكس فتجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به ، وقد جعلوا منه قوله :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

والمعنى : كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فوصف لون السماء بالغبرة حتى كأنه صار بحيث يشبه به لون الأرض في ذلك ، فعكس التشبيه مبالغة وحذف المضاف : لونها ، أي لون السماء^(٧) .

٥- قلب العكس : وهو أن يُقدِّم في الكلام جزء ثم يؤخر الجزء الآخر^(٨) ، وجعلوا

منه قول تعالى ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٩) ، وقوله تعالى ﴿ هُنَّ

لِبَاسٍ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ ﴾^(١٠) .

(١) ينظر : الصحاح في اللغة ١٠٠/٢ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ٩١٤/٢ .

(٣) قائله مجهول ، ينظر : مغني اللبيب ٩١٤/٢ ، شرح الدماميني ٥٧٠/٢ ، تاج العروس مادة (شرر) ٢٦٦٩/١ ، شرح شواهد المغني ٩٧٢/٢ .

(٤) ينظر : اللسان مادة (شرر) ٤٠٠/٤ ، المحكم والمحيط الأعظم مادة (شرر) ٣٥٤/٣ ، تاج العروس مادة (شرر) ٢٦٦٩/١ .

(٥) ينظر : حاشية الدسوقي ١٤٣٣/٢ .

(٦) الإتيان في علوم القرآن ١٠٣/٢ .

(٧) مفتاح العلوم ٩١ ، مختصر السعد ١٢٧ ، مغني اللبيب ٩١٥/٢ .

(٨) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٣٤ ، الإيضاح في علوم البلاغة ١١٣/١ ، الإتيان في علوم القرآن ٣٣٧/١ .

(٩) سورة الأنعام : ٥٢ .

٦- قلب المستوي : وهو أن تقرأ الكلمة من آخرها إلى أولها كما تقرأ من أولها

إلى آخرها^(٢) ، وجعلوا منه قوله تعالى ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرُ ﴾^(٣) .

نخلص مما تقدم إلى تعريف القلب المعنوي بأنه ظاهرة لفظية ومعنوية تتحصر في المسند والمسند إليه والمعطوف والمعطوف عليه ، فيكون أولهما مكان ثانيهما والعكس بالعكس وذلك مبالغة في الكلام ، وهو قسمان : قلب الإسناد وقلب العطف.

^(١) سورة البقرة : ١٨٧ .

^(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٣٤ ، الإتيان في علوم القرآن ١/٣٣٧ .

^(٣) سورة المدثر : ٣ .

المبحث الأول

قلب المبتدأ خبراً والخبر مبتدأ

إذا اجتمع اسمان في باب المبتدأ والخبر وبأبي (كان) و (إن) فان كان احدهما معرفة والآخر نكرة فالأصل أن المبتدأ معرفة والخبر نكرة ، أما ما جاء على خلاف ذلك في كلام العرب ، لاسيما في الشعر ؛ فهو من باب الضرورة ليس إلا كما قرره علماء العربية (١) .

قال سيبويه (٢) : ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس وهو النكرة ألا ترى أنك لو قلت: كان إنسان حليماً أو كان رجل منطلقاً ، كنت تلبس ، لأنه لا يستكر أن يكون في الدنيا إنسان هكذا، فكرهوا أن يبدأوا بما فيه اللبس ويجعلوا المعرفة خبراً لما يكون فيه هذا اللبس وقد يجوز في الشعر وفي ضعف من الكلام .

وقال المبرد (٣) : واعلم أن الشعراء يضطرون، فيجعلون الاسم نكرة والخبر معرفة. وإنما حملهم على ذلك معرفتهم أن الاسم والخبر يرجعان إلى شيء واحد.

واستدل الفراء (٤) من الكوفيين على هذا القلب بقوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٥) ، والمعنى عنده : لكل كتاب أجل أي : لكل أجل مؤجل ولكل مؤجل أجل والمعنى واحد ، وهو اختيار الضحاك قبله (٦).

وانكر أبو حيان ذلك ؛ لأنه لا يجوز ادعاء القلب إلا في ضرورة الشعر وأما في الآية فالمعنى عنده في غاية الصحة ولا تحتاج إلى عكس ولا قلب ، بل ان

(١) ينظر : الكتاب ١٠/١ . المقتضب ٢٢٩/١ المفصل ٢٦٤ ، شرح جمل الزجاجي ٣٥٤/١ ، مغني اللبيب ٥٩١/٢ .

(٢) الكتاب ١٠/١ .

(٣) المقتضب ٢٢٩/١ .

(٤) ينظر : معاني القرآن ٦٦/٢ .

(٥) سورة الرعد : ٣٨ .

(٦) ينظر : زاد المسير ١١/٤ ، معالم التنزيل ٣٢٤/٤ .

ادعاء القلب فيها لا يصح المعنى عليه ، واحتج بأن ثم أشياء كتبها الله تعالى أزلية كالجنة ونعيم أهلها لا أجل لها^(١).

وذكر أبو البقاء العكبري^(٢) أن قوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣) قرئت: ذائقة الموت ، على جعل الهاء ضمير ﴿كُلُّ﴾ على اللفظ ، وهو مبتدأ وخبرٌ ، فتكون كل مبتدأ ، و ذَائِقُهُ خبر مقدم ، و الْمَوْتُ مبتدأ مؤخرٌ ، والجملة خبر كُلِّ وأضيف ذائق على ضمير كل باعتبار لفظها ، والآية عنده من باب القلب في الكلام ، لأن النفس هي التي تذوق الموت وليس الموت يذوقها ، فجعل الموت هو الذي يذوق النفس ، قلباً للكلام لفهم المعنى ، كقولهم : عَرَضْتُ الناقَةَ على الحوض وقول الشاعر :

مِثْلُ الْقَنَائِدِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانَ ، أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِمَهُمْ هَجْرُ

واحتج ابن العادل في تفسيره^(٤) على أبي البقاء بأن هذه القراءة غريبة وان تخريجه للآية غريب أيضاً .

وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه^(٥) قوله تعالى ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾^(٦) برفع ﴿عَجَبًا﴾ وخرج ابن عطية^(٧) والزمخشري^(٨) هذه القراءة على أن ابن مسعود رضي الله عنه رفع ﴿عَجَبًا﴾ اسماً لكان وهو نكرة ونصب ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ خبراً لها وهو معرفة ، كقوله :

يَكُونُ مِرَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءٌ

(١) البحر المحيط ١٢٥/٧ .

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ١٦١/١ .

(٣) سورة آل عمران : ١٨٥ .

(٤) تفسير اللباب ٤٧٠/٤ .

(٥) قرأ السبعة بنصب (عجا) ورفع (أن أوحينا) ، ينظر : تفسير القرطبي ٣٠٦/٨ .

(٦) سورة يونس : ٢ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز ٣٣٧/٣ .

(٨) ينظر : الكشاف ٤٩٢/٢ .

ورد أبو حيان توجيههما لهذه القراءة وحملها على الشذوذ ، وعنده : كان تامة ، وعجب فاعل بها ، والمعنى : أ حدث للناس عجب لأن أوحينا ، وهذا التوجيه عنده للآية جيد وحسن (١) ، وأيده الالوسي في تفسيره (٢) .

وقرأ الأعمش (٣) قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾ (٤) بنصب ﴿ صَلَاتُهُمْ ﴾ اسما لكان ورفع ﴿ مُكَاءً ﴾ خبرا لها ، وجوز ذلك ابن خالويه اتساعاً في العربية (٥) ، ومنع مكي (٦) ذلك ولم يجوزه إلا في ضرورة الشعر ؛ لأنه لا ينبغي أن يقع اسم كان إلا معرفة وخبرها إلا نكرة ، وهذا هو المعتبر في أصول الكلام والنظر والمعنى . وخرجها ابن جني على أنّ المكاء والتصديّة اسم جنس واسم الجنس تعريفه وتكثيره واحد وانه لا قلب في هذه القراءة ، وخطأ قوم هذه القراءة لجعلهم المعرفة خبراً والنكرة اسماً على خلاف الاصل المعتبر في اللغة (٧) .

وذهب الفراء (٨) وتابعه ابن فارس (٩) إلى جواز القلب في قوله تعالى ﴿ فَأَنهٖمُ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَآ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٠) ، ومعنى الآية : فإني عدوٌّ لهم ، وعداوته لها بغضه إيّاها وبراءته منها ، وحجتهم أن الأصنام لا تعادي أحداً لكونها جمادا . وانكر أبو حيان (١١) والالوسي (١) ذلك وصرحا انه ليس بشيء ولا ضرورة تدعو تدعو إلى ذلك .

(١) ينظر : البحر المحيط ٢٥٦/٦ .

(٢) ينظر : روح المعاني ٦٠/١١ .

(٣) ينظر : الشواذ ٤٩ ، إعراب القرآن ٣٤٨ .

(٤) سورة الأنفال : ٣٥ .

(٥) ينظر : الحجة في القراءات السبع ١٧١ .

(٦) ينظر : تأويل مشكل إعراب القرآن ٣١٥/١ .

(٧) ينظر : البحر المحيط ٥٦/٦ .

(٨) ينظر : معاني القرآن ٢٨١/٢ .

(٩) ينظر : الصاحبي في اللغة ٥١ .

(١٠) سورة الشعراء : ٧٧ .

(١١) سورة مريم : ٨٢ .

وعلل الرازي^(٢) المنع في الآية تعليلاً حسناً ، والجواب عنده من وجهين :
أحدهما : أنه تعالى قال في في صفة الأوثان ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾^(٣) فقيل في تفسيره إن الله يحيي ما عبده من الأصنام حتى
يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم ، فعلى هذا الوجه فإن الأوثان ستصير أعداء
لهؤلاء الكفار في الآخرة فأطلق إبراهيم عليه السلام لفظ العداوة عليهم على هذا
التأويل .

والآخر: أن الكفار لما عبدها وعظموها ورجوها في طلب المنافع ودفع
المضار نزلت منزلة الأحياء العقلاء في اعتقاد الكفار ، ثم إنها صارت أسباباً
لانتقطاع الإنسان عن السعادة ووصوله إلى الشقاوة ، فلما نزلت هذه الأصنام منزلة
الأحياء وجرت مجرى الدافع للمنفعة والجالب للمضرة لا جرم جرت في ذلك مجرى
الأعداء .

وجوز النحاة قلب الخبر مخبراً عنه في اللفظ والمخبر عنه خبراً في ضرورة
الشعر^(٤) ، فمن ذلك قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

كأن سبيئةً من بيتِ رأسٍ يكون مزاجها عسلٌ وماءً^(٥)

فيمن رواه بنصب المزاج فجعل المعرفة الخبر والنكرة الاسم ، واليه جنح ابن
هشام في المغني ولم يؤيده صراحة ، وكذلك روي برفع المزاج ونصب العسل^(٦) ،
وروي : يكون مزاجها عسلاً وماءً ، أي : فيه ماء^(٧) .

(١) ينظر : روح المعاني ٢٨٤/١٤ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ٤٨٣/١١ .

(٣) سورة الشعراء : ٧٧ .

(٤) ينظر : الكتاب ٢٣/١ ، المقتضب ١٩/٤ .

(٥) البيت لحسان والبيت في ديوانه : ٨ ، السبيئة : الخمر ، بيت رأس : اسم قرية في الأردن ، ويروى :
كأن سلاقة ... ، كأن خبيثة ... ينظر : مفتاح العلوم ٩١ ، المفصل ٢٦٤ ، شرح شواهد المغني
٨٤٩/٢ ، خزنة الأدب ٤٠/٤ .

(٦) ينظر : مغني اللبيب ٩٥١/٢ ، حاشية الدسوقي ١٤٣٠/٢ .

(٧) ينظر : المقتضب ٢٢٩/١ .

وذهب العكبري وابن السيد إلى زيادة (كان) ورفع (مزاجها وعسل) وإضمار الشأن^(١) . وجعل ابن مالك ذلك اختيارا لا اضطرارا لتمكن الشاعر أن يقول : يكون مزاجها عسل وماء فيكون اسم كان ضمير سيئة ، ومزاجها عسل جملة خبر كان^(٢) وجعل قوم منهم ابن عصفور^(٣) والزمخشري^(٤) قول القطامي :

قفي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ضُبَاعَا وَلَا يَكُ مَوْقِفٌ مِنْكَ الْوَدَاعَا^(٥)

من باب القلب ، فجعلنا موقف اسم يك وهو نكرة والوداع خبر يك وهو معرفة . وهذا عند ابن مالك جائز في الاختيار قال : فاخبر بالمعرفة عن النكرة مختارا لا مضطرا ... والمحسن لهذا مع حصول الفائدة شبه المرفوع بالفاعل والمنصوب بالمفعول^(٦) .

واحتج الزجاجي^(٧) والسكاكي^(٨) على هذا النوع من قلب الإسناد بقول الشاعر :

فإنَّكَ لَا تَبَالِي بَعْدَ حَوْلٍ أَظْبِيَّ كَانَ أُمَّكَ أَمْ حَمَارُ^(٩)

فجعلنا الخبر معرفة والاسم نكرة ، وهو عند سيبويه على أن ظبيا اسم كان مقدم وخبره أمك ؛ لأنه من باب الأخبار عن النكرة بالمعرفة^(١٠) ، وكان الأصل : أظبيا كان أمك ؟ بنصب الظبي ورفع الأم .

(١) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٤٠٥/١ .

(٢) ينظر : شرح التسهيل ٣٥٦/١ .

(٣) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٣٥٤-٣٥٥/١ .

(٤) ينظر : المفصل ٣٢٠ .

(٥) ينظر : ديوانه ٣١ ، ضباع : مرخم ضباغة اسم امرأة ، وروي البيت : ولا يك موقفا منك الوداعا بنصب موقفا ينظر : الكتاب ٢/٢٤٣ ، المقتضب ٤/٩٤ ، الجمل ١٤٦ ، معاهد التنصيص ١/٦٣ ، خزنة الأدب ١/٣٩١ .

(٦) شرح التسهيل ١/٣٥٦ .

(٧) ينظر : الجمل ١٤٦ .

(٨) ينظر : مفتاح العلوم ٩١ .

(٩) ينسب البيت لخدّاش بن زهير ولثروان بن فزارة العامري ، ينظر : المقتضب ٤/٩٤ ، شرح جمل

الزجاجي ١/٤٠٥ ، خزنة الأدب ٣/٢٣٠ .

(١٠) ينظر : الكتاب ١/٢٣ .

أما ابن عصفور^(١) وابن هشام^(٢) فرجحا أن يكون اسم كان ضمير الظبي وهو نكرة وأمك خبرها وهو محل الاستشهاد عندهما في البيت . وقيل : ليس ظبي اسما لكان المذكورة بل لكان محذوفة مفسرة بكان المذكورة ، والتقدير : أكان ظبي أمك ، فالبيت من باب الاشتغال^(٣) .

وجعل بعضهم أيضاً قول الشاعر :

أسكرنُ كان ابنَ المراغةِ إذ هجا تميماً بجوفِ الشامِ أم متساكراً^(٤)

من المقلوب على رفع (سكران) ونصب (ابن المراغة) ؛ لأنه جعل اسم كان ضمير سكران وهو نكرة ، ويكون ابن المراغة خبر كان، فيكون قد أخبر بمعرفة عن نكرة^(٥) . ويروى برفع ابن المراغة ونصب سكران وهو الأشهر^(٦) ، ويروى برفع سكران وابن المراغة على جعل كان زائدة^(٧) .

وقد صرح الثعالبي^(٨) وابن عصفور^(٩) بالقلب في قول الشاعر :

كانت فريضة ما تقولُ كما كان الزنأُ فريضةَ الرجمِ^(١٠)

والمعنى : كما كان فريضة الزنأ الرجم .

(١) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٤٠٥/١ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ٧٦٨/٢ .

(٣) ينظر : شرح شواهد المغني ٩١٨/٢ .

(٤) البيت للفرزدق يهجو به جريرا ، المراغة : الأتان التي لا تمتنع عن الفحول وهو يشير بذلك إلى أم جرير ، ينظر : ديوانه ٤٨١ .

(٥) ينظر : الخصائص ٣٧٥/٢ ، شرح جمل الزجاجي ٤٠٤/١ ، خزانة الأدب ٦٥/٤ .

(٦) ينظر : الكتاب ٢٣/١ ، المقتضب ٩٤/٤ .

(٧) ينظر : مغني اللبيب ٦٣٧/٢ .

(٨) ينظر : فقه اللغة ٨٨ .

(٩) ينظر : شرح جمل الزجاجي ٣٥٥/١ .

(١٠) ينسب البيت للنابغة الجعدي ، ينظر : مجاز القرآن ٣٧٨/١ ، معاني القرآن ٩٩/١ ، معاهد التنصيص ٦٣/١ ، خزانة الأدب ٣٢/٤ .

المبحث الثاني

قلب الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً

اتفق النحاة على أن الفاعل يتقدم على المفعول به لفظاً ورتبة ومعنى ، إلا انه وردت آيات من الذكر الحكيم وأبيات من الشعر العربي ظاهرها تحويل الفعل إلى غير فاعله الذي قام به ، وهذا عند قوم من النحويين والمفسرين من قبيل الفصاحة والبلاغة والاتساع في العربية ، واحتجوا بآيات قرآنية على وقوع هذا القلب في كلام الله تعالى ، أما جمهور النحاة والمفسرين فإنهم ردوا ذلك وخرجوه على وجهه المعتبر :

من ذلك ما احتج ابن الصائغ^(١) وتبعه السيوطي^(٢) بقراءة ابن كثير^(٣) في قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) بنصب ﴿ آدَمُ ﴾ ورفع ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾ على انه من القلب فجعل الفعل للكلمات وهي المتلقية آدم^(٥) ، والدليل عندهما على ذلك أن العرب تقول تلقيت زيدا و تلقاني زيد والمعنى واحد ؛ لأن من لقيته فقد لقيك وما نالك فقد نلته^(٦) ، وفسرها أبو حيان بهذا التفسير^(٧) .

ورجح أبو علي الفارسي^(٨) قراءة الرفع مستشهداً بقوله تعالى ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾^(٩) فاسند الفعل للمخاطبين والمفعول به كلام يتلقى ، كما أن الذي تلقاه

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٣٣ .

(٢) ينظر : الإتيان في علوم القرآن ١٠٣/٢ .

(٣) ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٧٥/١ ، غيث النفع ٧٠ .

(٤) سورة البقرة : ٣٧ .

(٥) ينظر : تفسير الطبري ٢٤٣/١ ، تفسير القرطبي ٣٢٦/١ .

(٦) ينظر : الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ٧٥/١ ، حجة القراءات ٩٤/١ - ٩٥ .

(٧) ينظر : البحر المحيط ٢٠٨/١ .

(٨) ينظر : الحجة للقراء السبعة ٢٧٨/١ .

(٩) سورة النور : ١٥ .

آدم كلام متلقى ، ومما يقوي قراءة الرفع عنده أن أبا عبيدة تأول قوله ﴿ قَتَلْتَنِي ﴾ ب (قبل) ، فإذا كان آدم القابل للكلمات مقبولة .

أما الطبري ، وان جعل ذلك في العربية جائزاً ، إلا انه لم يجوز إلا قراءة الباقيين برفع ﴿ آدَمُ ﴾ ونصب ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾ على أن آدم (ﷺ) هو المتلقي للكلمات لإجماع الحجة من القراءة وأهل التأويل من علماء السلف والخلف على توجيه التلقي إلى آدم دون الكلمات^(١) ، والحجة في ذلك أن العرب تقول تلقيت هذا من فلان إذا قبلته ، فآدم عليه السلام أخذها وتلقاها بالقبول فتلقته هي بذلك أيضاً^(٢) .

وإدعى بعضهم أن قوله تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٣) من المقلوب ، والمعنى عنده : وما تخادعهم إلا أنفسهم قال : لأن الإنسان لا يخدع نفسه ، بل نفسه هي التي تخدعه وتسؤل له وتأمره بالسوء ، وحجته في ذلك انه لما رأى قولهم : منتك نفسك ، وقوله تعالى : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ ﴾^(٤) ظن أن الممّني والمُسوّل غير الممّني والمُسوّل له^(٥) .

وأجاب أبو حيان^(٦) عن ذلك أن الفاعل هنا هو المفعول وليس كما ظن مدعي القلب ، ألا ترى أنك تقول : أحب زيد نفسه ، وعظم زيد نفسه ؟ فلا يتخيل هنا تباين الفاعل والمفعول إلا من حيث اللفظ ، وأما المدلول ؛ فواحد . وإذا كان المعنى صحيحاً دون قلب ، فأبي حاجة تدعو إليه ؟ هذا مع أن الصحيح أنه لا يجوز إلا في الشعر ، فينبغي أن ينزه كتاب الله تعالى منه .

(١) ينظر : تفسير الطبري ٢٤٣/١ .

(٢) ينظر : نظم الدرر ٧٠/١ .

(٣) سورة البقرة : ٩ .

(٤) سورة يوسف : ١٨ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٥٧/١ ، تفسير الطبري ٢٧٥/١ ، البرهان في علوم القرآن ٦٣٣ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٥٨/١ .

وأجاز الفراء^(١) أن في قوله تعالى ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ

الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾^(٢) قلباً ، وهو احد معنيين عنده ، وتقدير الآية : فهدى الله الذين آمنوا به للحق لما اختلفوا فيه ، واختاره الطبري^(٣) وقال أن معنى الآية هو : فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه، فكفر بتبديله بعضهم، وثبت على الحق والصواب فيه بعضهم - وهم أهل التوراة الذين بدلوها - فهدى الله مما للحق بدّلوا وحرّفوا الذين آمنوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ورجح ابن عطية أن يكون الطبري قد نحا منحى الفراء في حكايته هذا التأويل ((خوف أن يحتمل اللفظ أنهم اختلفوا في الحق فهدى الله المؤمنين لبعض ما اختلفوا فيه ، وعساه غير الحق في نفسه))^(٤) ، وضعف ابن عطية^(٥) هذا الوجه وجعل ادعاء القلب على لفظ كتاب الله ، دون ضرورة تدفع إلى ذلك ، عجزاً وسوء نظر ؛ وذلك أن الكلام يتخرج على وجهه ورففه ؛ لأن قوله ﴿ فَهَدَى ﴾ يقتضي أنهم أصابوا الحق ، وتم المعنى في قوله ﴿ فِيهِ ﴾ ، وتبين بقوله ﴿ مِنْ الْحَقِّ ﴾ جنس ما وقع الخلاف فيه .

وأيد أبو حيان^(٦) ما ذهب إليه ابن عطية ونقل كلامه ثم قال : ((والقلب عند أصحابنا يختص بضرورة الشعر فلا نُحَرِّجُ كلام الله عليه)) ، ونقل كلام ابن عطية القرطبي^(٧) والثعالبي^(٨) والشوكاني^(٩) .

(١) ينظر : معاني القران ١/١٣١ .

(٢) سورة البقرة : ٢١٣ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ٤/٢٨٦ .

(٤) المحرر الوجيز ١/٢٣٦ .

(٥) ينظر : المحرر الوجيز ١/٢٣٦ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٢/٣٢٤ .

(٧) ينظر : الصاحبي في اللغة ٥١ .

(٨) ينظر : تفسير الثعالبي ١/١٢٠ .

(٩) ينظر : فتح القدير ١/٢٨٥ .

وُسَبِّ إلى الزجاج انه جعل منه قوله تعالى ﴿ وَقَدْ بَلَّغْنِي الْكِبْرُ وَأُمْرَاتِي عَاقِرٌ ﴾^(١) أي : وقد بلغت الكبر وشخت كما يقال بلغني الجهد أي أنا في الجهد^(٢) ، كما حمل الزجاجي الآية على القلب^(٣) واحتج أن الحدثن للمخلوق لا للكبر .
وأجاب أبو حيان^(٤) عن الآية بأنه أسند البلوغ إلى الكبر توسعاً في الكلام ، كأن الكبر طالب له ، لأن الحوادث طارئة على الإنسان ، فكأنها طالبة له وهو المطلوب ، وقال الشوكاني^(٥) : جعل الكبر كالتطلب له لكونه طليعة من طلائع الموت فأسند الفعل إليه .

وقال الرازي معللاً^(٦) : فإن قيل : يجوز بلغني البلد في موضع بلغت البلد ، قلنا : هذا لا يجوز ، والفرق بين الآية والمثل أن الكبر كالشيء الطالب للإنسان فهو يأتيه بحدوثه فيه ، والإنسان أيضاً يأتيه بمرور السنين عليه ، أما البلد ؛ فليس كالتطلب للإنسان الذاهب إليه ، فظهر الفرق ، ونقل ذلك ابن العادل عن الرازي^(٧) ومعنى الآية عند الزمخشري^(٨) : أثر في الكبر فأضعفني .

وجعل ابن فارس^(٩) وتابعه الزركشي^(١٠) قوله تعالى ﴿ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(١١) الآية من القلب ، والتحريم لا يقع إلا على من يلزمه الأمر والنهي ، وإذا

(١) سورة آل عمران : ٤٠ .

(٢) ينظر : معالم التنزيل ٣٥/٢ ، زاد المسير ٣٣٤/١ ، لباب التأويل ٣٦٩/١ ، البرهان في علوم القرآن ٦٣٣ .

(٣) ينظر : الجمل ٧٨ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ٢٢٢/٣ ، روح المعاني ٢١/٣ .

(٥) ينظر : فتح القدير ٤٦١/١ .

(٦) ينظر : مفاتيح الغيب ١٩٨/٤ .

(٧) ينظر : تفسير اللباب ٦٢/٤ .

(٨) ينظر : الكشاف ٢٧٣/١ .

(٩) ينظر : الصاحبي في اللغة ٥١ .

(١٠) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٣٣ .

(١١) سورة القصص : ١٢ .

كان كذا فالمعنى عندهما : وحرّمنا على المرضع أن يرضعته، ووجه تحريم إرضاعه عليهن أن لا يقبل إرضاعهن حتى يُرد إلى أمّه ، وعند السيوطي معنى الآية : أي حرمانه على المرضع^(١) .

وقال أهل التفسير : إن المراد من التحريم المنع ، أي : منعناه من الارتضاع من قبل، أي من قبل مجيء أمه وأخته ، قال ابن عباس رضي الله عنه : كان لا يؤتى بمرضع فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع^(٢) .

وجوز الزمخشري أن يكون معنى قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى

النَّارِ ﴾^(٣) هو : تعرض النار عليهم ، كقولهم : عرضت الناقة على الحوض ، يريدون : عرض الحوض عليها ، واحتج على ذلك بتفسير ابن عباس رضي الله عنه للآية : يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها^(٤) ، وأيده السكاكي^(٥) والمح إليه صاحب الأضواء في هذا الموضع^(٦) .

وتصدى أهل التفسير له وردوا أن تُحمل الآية على القلب ((لأنه إذا أمكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه فهو أولى من أن يُحمل على أنه مقلوب))^(٧) .

ومعنى الآية عندهم : يا أيها النبي انكر لهم يوم ينكشف الغطاء فينظرون إلى النار ويقربون منها^(٨) ، ((لأن الكفار مقهورون فكأنهم لا اختيار لهم والنار

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن ١٠٣/٢ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي ٢٥٧/١٣ ، معالم التنزيل ١٩٥/٦ .

(٣) سورة الاحقاف : ٢٠ .

(٤) ينظر : الكشاف ٣٠١/٦ .

(٥) ينظر : مغني اللبيب ٩١٣/٢ .

(٦) ينظر : أضواء البيان ٣٣٠/٧ .

(٧) مفاتيح الغيب ١٢/١١ .

(٨) ينظر : فتح القدير ٤٥٩/٦ ، إرشاد العقل السليم ١٤١/٦ .

متصرفة فيهم وهو كالمتمتع الذي يقرب منه من يعرض عليه كما قالوا عرضت الجارية على البيع))^(١).

وعلى بعض المفسرين أن العَرَض قد كَثُرَ في معنى الإمرار دون قصد الترغيب ، وأصله مجاز ساوى الحقيقة ، وليس في الآية قلب ولا في قول العرب : عرضت الناقة على الحوض ، قلب ، ومعنى عرضهم على النار أن أرواحهم تُشاهد المواضع التي أعدت لها في جهنم^(٢) .

((ولا ينبغي حمل القرآن على القلب ، إذ الصحيح في القلب أنه مما يضطر إليه في الشعر ، وإذا كان المعنى صحيحاً واضحاً مع عدم القلب ، فأى ضرورة تدعو إليه ؟ وليس في قولهم : عرضت الناقة على الحوض ، ولا في تفسير ابن عباس ما يدل على القلب ؛ لأن عرض الناقة على الحوض ، وعرض الحوض على الناقة ، كل منهما صحيح ؛ إذ العرض أمر نسبي يصح إسناده لكل واحد من الناقة والحوض))^(٣) .

وذهب الالوسي إلى أن قولهم : عرضت الناقة على الحوض ليس كالأية ، لأن المعروض عليه يجب أن يكون له إدراك ليميل به إلى المعروض أو يرغب عنه لكن لما كان المناسب هو أن يؤتى بالمعروض عند المعروض عليه ويحرك نحوه وههنا الأمر بالعكس لأن الحوض لم يؤت به وكذا النار قلب الكلام رعاية لهذا الاعتبار . وأما النار ؛ فقد وردت النصوص بأنها حينئذٍ مدركة إدراك الحيوانات بل إدراك أولي العلم ، فالأمر في الآية على ظاهره^(٤) .

وحمل الفراء^(٥) وأبو علي الفارسي^(٦) وتابعهما الطبري^(١) قراءة من فتح العين وخفف الميم^(٢) في قوله تعالى ﴿ فَعَمَّيْتُ عَلَيْكُمْ ﴾^(٣) ، على أن معنى الآية : فعميتم

(١) البرهان في علوم القرآن ٦٣٣ .

(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٤٤٩/١٢ .

(٣) البحر المحيط ٥٥/١٠ .

(٤) ينظر : روح المعاني ٧٢/١٩ .

(٥) ينظر : معاني القرآن ١٢/٢ .

(٦) ينظر : الحجة للقراء السبعة ٣٨٩/٢ .

انتم عن الأخبار التي أتتكم وهي الرحمة ، ولم تُعم الأخبار نفسها عنهم ، ولو عُميت هي لكان لهم في ذلك عذر إنما عموا هم عنها^(٤) .

وحجتهم في ذلك أن هذا ممّا حوّلت العرب الفعل إليه وليس له ، وهو في الأصل لغيره ، ألا ترى أن الرجل الذي يُعمّي عن الخبر أو يُعمّي عنه ، كما في قولهم دخل الخاتم في يدي والخفّ في رجلي ، ومعلوم أن الرّجل هي التي تدخل في الخفّ والإصبع في الخاتم ، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِّهِ رُسُلَهُ ﴾^(٥) ، ويقول الشاعر :

ترى الثورَ فيها مدخلَ الظلِّ رأسه وسائرُه بادٍ إلى الشمسِ أجمع

وأجاب أبو حيان^(٦) عن الآية التي استدلوا بها أن الفعل (أخلف) يتعدى إلى مفعولين والوصف منه كذلك ولك أن تضيفه إلى أيهما شئت ؟ وهو ليس من باب القلب ، وإن الفعل عمي يتعدى بـ (عن) وليس (على) ، فتقول : عميت عن كذا ، ولا تقول عميت على كذا ، وجعلها مكي^(٧) من باب الاتساع لمعرفة المعنى . أما البيت ؛ فخرّجه أبو حيان على أنه من باب الاتساع في الظرف . وفسروا ﴿ فَعُمِّيْتُ ﴾ لمن قرأ بالتخفيف بمعنى : خفيت ، فالأخبار تكون قد خفي فهمها عليهم لعدم اهتمامهم بها وإعراضهم عنها^(٨) .

(١) ينظر : تفسير الطبري ٢٢٩/١٥ .

(٢) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وشعبة . ينظر : التيسير ١٠١ ، التذكرة في القراءات ٣٠١ .

(٣) سورة هود : ٢٨ .

(٤) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٣٦٠/١ .

(٥) سورة إبراهيم : ١٤ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٣٩٢/٦ .

(٧) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٤٠٨/١ .

(٨) ينظر : مشكل إعراب القرآن ٣٦١/١ ، معالم التنزيل ١٧١/٤ ، لباب التأويل ٤٤٩/٣ .

وحمل مكي^(١) والقرطبي^(٢) قراءة ضم العين وتشديد الميم^(٣) على انه ما لم يسم فاعله فليس فيه قلب ، ومعنى الآية : إن الله تعالى عماها عليهم لأنه أراد بهم الشقاوة ، واستدلا على ذلك بقراءة أَبِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والأعمش^(٤) ﴿ فَعَمَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ أي : فعماها الله عليهم ، وقيل : المعنى شُبِّهَتْ وَلُبِّسَتْ عَلَيْهِمْ^(٥) ، وقيل : أبهمت عليهم وأخفيت^(٦).

وتأول الزمخشري^(٧) قراءة أبي على أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه . وعلل الالوسي^(٨) أن الزمخشري تأول قراءة أَبِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ والأعمش حفظاً لعقيدته التي تقول إن الله تعالى لا يصدر منه إلا الحسن خلافاً لغيره .

وذكر الفراء^(٩) أن معنى قوله تعالى ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾^(١٠) هو أن سكرة الموت تأتي بالحق والحق يأتي بها ، وكذلك الأجل له كتاب وللكتاب أجل ، والحجة على ذلك قراءة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ .
ونسب الطبري^(١١) هذه القراءة إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وتأويلها عنده من وجهين ، أحدهما : وجاءت سكرة الله بالموت ، فيكون الحق هو الله تعالى ، والثاني : أن تكون

(١) ينظر : مشكل إعراب القرآن ١/٣٦١ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي ٩/٢٥ .

(٣) قرأ بها حفص وحمزة والكسائي . ينظر : التيسير ١٠١ ، النشر ٢/٢٨٨ .

(٤) ينظر : الحجة في القراءات السبع ١٦١ .

(٥) ينظر : معالم التنزيل ٤/١٧١ ، مفاتيح الغيب ٨/٣٩٥ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ٦/٣٩٢ .

(٧) ينظر : الكشاف ٣/٨١ .

(٨) ينظر : روح المعاني ٨/٢١٥ .

(٩) ينظر : معاني القرآن ٢/٦٥ .

(١٠) سورة ق : ١٩ .

(١١) ينظر : تفسير الطبري ٢٢/٣٤٧ .

السكرة هي الموت وقد أُضيفت إلى نفسها ، ويكون تقدير الكلام : وجاءت سكرة الموت بالموت ، وهذا من باب التقديم والتأخير عند الماوردي^(١).

وذكر القرطبي^(٢) هذين التأويلين إلا انه احتج بان رويت عن الصديق رضي الله عنه روايتان ، إحداهما : قد وافقت المصحف فهي الأصل وعليها العمل ، والأخرى : مردودة تجري مجرى النسيان منه إن كان قالها ، أو الغلط من بعض من نقل الحديث.

والباء عند الزمخشري^(٣) وأبي حيان^(٤) وغيرهما^(٥) في ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ إما ان تكون للتعدية فيكون المعنى : جاءت سكرة الموت الحق ، وهو الأمر الذي أنطق الله به كتبه وبعث به رسله ، من سعادة الميت أو شقاوته ، أو ان تكون للملابسة فيكون المعنى : ملتبسة بالحق أي بحقيقة الأمر .

وجوز الزمخشري^(٦) في قراءة الصديق وابن مسعود ﴿ بِالْمَوْتِ ﴾ ان تكون الباء للتعدية ؛ لأنها سبب زهوق الروح لشدتها ، أو لأن الموت يعقبها؛ فكأنها جاءت به ، أو أن تكون للمصاحبة ومعناها هو : جاءت سكرة الحق ومعها الموت. وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعيان وقيل: بما يؤول إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة^(٧) .

ونقل الفراء^(٨) في قوله تعالى ﴿ وَأَشْيَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾^(١) عن رجل من أهل العربية ادعى أن معنى الآية هو : ما إن العصابة

(١) ينظر : النكت والعيون ١٦١/٤ .

(٢) ينظر : تفسير القرطبي ١٢/١٧ .

(٣) ينظر : الكشاف ٣٩٦/٦ .

(٤) ينظر : البحر المحيط ١٢٤/١٠ .

(٥) ينظر : فتح القدير ٣٠/٧ ، روح المعاني ٣٢٥/١٩ .

(٦) ينظر : الكشاف ٣٩٦/٦ .

(٧) ينظر : معالم التنزيل ٣٦٠-٣٦١/٧ .

(٨) ينظر : معاني القرآن ٣١٠/٢ .

لتتوء بمفاته أي لتنهض بها متناقلة ، فاسند الفعل إلى المفاتيح محتجاً بقول الشاعر:

إن سراجاً لكريمٍ مفخرُهُ تحلى به العينُ إذا ما تجهُرُه

و معنى البيت : أي هو الذي يحلى بالعين ، وفائدته : المبالغة ؛ لان المفاتيح كأنها مستتعبة للعصبة القوية بثقلها^(٢) ، وواقفه الزجاجي^(٣) وأبو عبيدة^(٤) والثعالبي^(٥) والحريري^(٦) وجعله ابن عطية الوجه المختار^(٧).

ورُدَّ عليهم بأن الصحيح أن تكون الباء للتعدية كالهزمة ، أي : لتتيء العصبة ، أي : تميلهم من ثقلها إذا حملوها^(٨) كما تقول : ذهبت به وأذهبتَه ، وروي هذا التأويل عن ابن عباس وأبي صالح والسدي^(٩) ، ونقل هذا عن الخليل وسيبويه^(١٠) واختاره الفراء^(١١) وأبو علي الفارسي والنحاس^(١٢) ، وصححه ابن عصفور ؛ لان نقل الفعل غير المتعدي مقيس والقلب غير مقيس ، والأولى أن تحمل الآية على ما هو مقيس .

واختار الطبري^(١٤) معنى : تميلهم من ثقلها ، وجعله الأولى بالصواب لمعنيين ، أحدهما : انه تأويل موافق لظاهر التنزيل ، والثاني : أن معنى : ما إن العصبة

(١) سورة القصص : ٧٦ .

(٢) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٦٣٢ .

(٣) ينظر : الجمل ٧٩ .

(٤) ينظر : مجاز القرآن ١١٠/٢ .

(٥) ينظر : فقه اللغة ٨٨ .

(٦) ينظر : درة الغواص ١ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز ٢٠٨/٥ .

(٨) ينظر : معالم التنزيل ٢٢٠/٦ .

(٩) ينظر : تفسير القرطبي ٣١٢/١٣ .

(١٠) ينظر : البحر المحيط ٣٩٥/٩ ، مغني اللبيب ٩١٤/٢ .

(١١) ينظر : معاني القرآن ٣١٠/٢ .

(١٢) ينظر : إعراب القرآن للنحاس ٧٢٣ ، مغني اللبيب ٩١٤/٢ .

(١٣) ينظر : شرح جمل الزجاجي ١٨١/٢ .

(١٤) ينظر : تفسير الطبري ١١٠/٢٠ .

لتنهض بمفاته لا يدل على المعنى المراد ؛ لان العصبه قد تنهض بالقليل من المفاتح وبالكثير ، أما معنى الآية : إن مفاته تنقل العصبه وتميلها فهو للدلالة على كثرة كنوزه وهو الموافق لتأويل الجمهور .

وقال بعضهم^(١) : إن الباء تفيد الملاسة لا السببية ، أي : تنقل مع العصبه الذين يحملونها فهي لشدة ثقلها تنقل مع أن حملتها عصبه أولو قوة .

وادعى أبو عمرو^(٢) وأبو عبيدة النحاس وقطرب^(٣) وأبو عبيدة^(٤) وابن السكيت

في كتابه التوسعة^(٥) أن الآية ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(٦) فيها قلب ، ونسب

ذلك ابن عطية^(٧) إلى بعض المفسرين ، وان معناها هو : خُلِقَ العجل من

الإنسان ، وكأن العجل جعل طبيعة من طبائعه وجزءاً من أخلاقه للزومه له ،

واحتجوا بان هذا وما أشبهه في كلام العرب كثير مشهور وإنما خوطب القوم بما

يعقلون ، واستدلوا على ذلك مما جاء عن العرب من شعر ونثر ، كقولهم : إذا

طلعت الشعري واستوت العود على الحزباء: أي استوت الحزباء على العود،

كقول الشاعر :

وَتَرَكَبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْقَى الرِّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ

وكقول ابن مقبل :

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ فَرْدًا يُجَرُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفْدِينَا

وللمفسرين في تأويل الآية أقوال :

(١) ينظر : التحرير والتتوير ٤٣٨/١٠ .

(٢) ينظر : البحر المحيط ١٥٨/٨ .

(٣) ينظر : روح المعاني ٣٨٨/١٢ .

(٤) ينظر : مجاز القرآن ٧٩/١ .

(٥) ينظر : المصباح المنير ٥٣/٦ .

(٦) سورة الأنبياء : ٣٧ .

(٧) ينظر : المحرر الوجيز ٤٤٩/٤ .

أولها^(١) : أن معنى الآية : خلق عجولا لقوله تعالى ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(٢) ، وذلك مبالغة في الكلام ، إذ العرب قد تسمي المرء بما يكثر منه فنقول : ما أنت إلا أكل ونوم ، وهو قول المحققين .

ثانيها^(٣) : أن لفظة (العَجَل) بلغة حمير معناها (الطين) ومعنى ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أي : من طين ، وانشدوا :

والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

ثالثها^(٤) : قيل أنها نزلت في النضر بن حارث وهو الذي قال ﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾^(٥) ، رواه عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما .

رابعها^(٦) : قال الاخفش إن معناها تعجيل الأمر ، أي : قيل له كن فيكون .

خامسها^(٧) : قال الحسن البصري : إن المعنى هو : من ضعف ، أي : ضعيفا .

سادسها^(٨) : خُلِقَ بِعَجَلٍ وسرعة ، إذ استعجل بخُلُقِهِ قبل غروب الشمس من يوم الجمعة ، وهو آخر الأيام الستة ، قاله مجاهد .

^(١) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٠/١١ ، معالم التنزيل ٣١٨/٥ ، زاد المسير ٣٣٩/٤ ، النكت والعيون ٧٧/٣ .

^(٢) سورة الإسراء : ١١ .

^(٣) ينظر : تهذيب اللغة ١١١/١ ، مفاتيح الغيب ٢٠/١١ ، البحر المحيط ١٥٨/٨ ، النكت والعيون ٧٧/٣ .

^(٤) ينظر : الكشاف ٢٢٢/٤ ، زاد المسير ٣٣٩/٤ ، تفسير القرطبي ٢٨٩/١١ .

^(٥) سورة الأنفال : ٣٢ .

^(٦) ينظر : تفسير القرطبي ٢٨٩ / ١١ ، مفاتيح الغيب ٢٠/١١ ، البحر المحيط ١٥٨/٨ .

^(٧) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٠/١١ ، البحر المحيط ١٥٨/٨ .

^(٨) ينظر : زاد المسير ٣٣٩/٤ ، معالم التنزيل ٣١٨/٥ ، النكت والعيون ٧٧/٣ .

سابعها^(١) : قال ابن قتيبة إن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا والمعنى : خلقت العجلة في الإنسان .

وأجاب ابن جني^(٢) على من حمل الآية على القلب انه يبعد في الصنعة ويذهب المعنى المراد وهو كثرة فعله إياه واعتياده له ؛ لأنه أمر قد اطرده واتسع منه لان العجلة ضرب من الضعف التي تقضي إلى الحاجة والضرورة لغيره. وقد علل لجوء بعضهم إلى تفسير العجل بالطين لخباء المعنى عليه و لا يراد به إلا نفس العجلة والسرعة لقوله تعالى ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾^(٣) ، ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾^(٤)

ورد القرطبي^(٥) على من ادعى القلب فيها بان هذا القول لا يجوز أن يجاب به في كتاب الله تعالى ؛ لأن القلب إنما يقع في الشعر اضطرارًا .

وتابعه أبو حيان^(٦) في أن القلب باب الشعر وان من ادعاه في الآية ليس بجيد ؛ لأن الصحيح فيه أن لا يكون في الكلام الفصيح ، ومعنى الآية عنده : لما كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة إلى الإقرار والعلم نهاهم عن الاستعجال و ذم الإنسان على إفراط العجلة وأنه مطبوع عليها ، والظاهر أنه يراد بالإنسان هنا اسم الجنس ، وكونه ﴿ خُلِقَ ﴾ ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ هو على سبيل المبالغة لما كان الاستعجال يصدر منه كثيرًا .

وجعل الطبري^(٧) أولى الأقوال بالصواب في تأويل الآية ؛ لأنه خلق على عجل وسرعة لأنه بورد بخلقه قبل مغيب الشمس في آخر ساعة من نهار يوم

(١) ينظر : زاد المسير ٣٣٩/٤ ، النكت والعيون ٧٧/٣ .

(٢) ينظر : الخصائص ٢٠٣/٢ .

(٣) سورة الإسراء : ١١ .

(٤) سورة النساء : ٢٨ .

(٥) ينظر : تفسير القرطبي ٢٨٩/١١ .

(٦) ينظر : البحر المحيط ١٥٨/٨ .

(٧) ينظر : تفسير الطبري ٤٤٣/١٨ .

الجمعة، وفي ذلك الوقت نفخ فيه الروح ولدلالة قوله تعالى ﴿ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(١) على ذلك ، قال : وفي إجماع أهل التأويل على خلاف قول من قال بالقلب الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره .

وجعل الرازي^(٢) القول الأول أقرب إلى الصواب وأبعد الأقوال من قال بالقلب ؛ لأنه إذا أمكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه فهو أولى من أن يحمل على أنه مقلوب . أما قول ابن قتيبة : خلقت العجلة من الإنسان فهو عنده من المجاز الذي لا يفيد في تغيير النظم .

ومما جاء في الشعر ما ذهب إليه ابن سيده^(٣) وغيره من جواز قول الشاعر :
ونركبُ خيلاً لا هوادهَ بينها وتشفى الرماحُ بالضياطرةِ الحمر^(٤)

من المقلوب ، والمراد عنده : وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح يعني أنّهم يُفْتَلُونَ بها، ويجوز أن يكون عنى أن الرماح تشقى بهم أي أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها . وقد ذكر القزويني^(٥) للبيت سوى القلب وجهين ، أحدهما : أن يجعل شقاء الرماح بهم استعارة عن كسرها بطعنهم بها، والثاني : أن يجعل نفس طعنهم شقاء لها تحقيراً لشأنهم وأنهم ليسوا أهلاً لأن يطعنوا بها .

وزعم بعضهم في قول المتنبي :

وعذلتُ أهلَ العشقِ حتى ذقتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعِشُقُ^(٦)

أن معناه : كيف لا يموت من يعشق ، والمراد عند ابن هشام^(٧) انه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق .

(١) سورة الأنبياء : ٣٧ .

(٢) ينظر : مفاتيح الغيب ٢٠/١١ .

(٣) ينظر : المخصص ١٤٣/١ .

(٤) البيت لخداش بن زهير ، الضياطرة واحده ضيطر وهو الضخم من الرجال ، ينظر : شرح جمل

الزجاجي ١٨١/٢ ، مفتاح العلوم ٩١ ، الإيضاح ٢٥/١ ، اللسان مادة (ضطر) ٤٨٩/٤ .

(٥) ينظر : الإيضاح ٢٥/١ .

(٦) ينظر : شرح ديوان المتنبي ٤٧٨/١ .

(٧) ينظر : مغني اللبيب ٩١٣/٢ .

الخاتمة

نستخلص مما تقدم أموراً عديدة ، من أبرزها :

- ١- أن قلب الإسناد ظاهرة لغوية وفن بلاغي استعملته العرب في كلامها وجاء على خلاف مقتضى ظاهر كلامهم، مما يدل على عمق اللغة وتطور أساليبها في التعبير.
- ٢- هو ظاهرة يقع احد جزئي الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) مكان الآخر ، فالمبتدأ يصبح خبرا والخبر مبتدأً على وجه يثبت لكل منهما حكم الآخر .
- ٣- اتفق النحاة والبلاغيون والمفسرون على وقوعه في كلام العرب نظماً وشعراً، إلا أنهم اختلفوا في وقوعه في القرآن بين منكر ومثبت ومنكر ومفصل.
- ٤- يعد الفراء والمبرد وابن فارس والزمخشري والسكاكي من أوائل الذين اثبتوا وقوع هذا القلب في كلام الله محتجين بآيات خرجوها وفق هذه الظاهرة.
- ٥- أن جمهور النحاة والمفسرين انكروا وقوعه في كلام الله تعالى، وحجتهم أن هذا مما يضطر إليه في الكلام نثراً وشعراً، وإذا كان المعنى صحيحاً فليس هناك حاجة لذلك.
- ٦- أن ما جاء ظاهره القلب من الذكر الحكيم فان الجمهور خرجوه على وجه المعبر، وعدوا ادعاء القلب فيه عجزاً وسوء نظر، وهذا مما ينزه عنه كلام الله تعالى.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإيتقان في علوم القرآن : لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تد . أبي الفضل إبراهيم ، مصر ، ١٩٦٧ م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم : لمحمد بن محمد ابن ابي السعود ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- الأشباه والنظائر : لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، مطبعة حيدر آباد ، ١٣١٧ هـ .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، اعتنى به الشيخ صلاح الدين العلايلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- إعراب القرآن : لأبي جعفر احمد بن النحاس ، اعتنى به الشيخ خالد العلي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- الإيضاح في علوم البلاغة : للقزويني تد . محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة .
- البحر المحيط : لأبي حيان الاندلسي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٨ هـ .
- البرهان في علوم القرآن : لابي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي ، قدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس : لمحمد المرتضى الزبيدي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .
- التبيان في إعراب القرآن : لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- التذكرة في القراءات : لأبي الحسن طاهر بن غلبون ، حققه وراجعه د. سعيد صالح زعيمة ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية - مصر ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

- **تفسير الثعالبي:** المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن ، لعبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان .
- **تفسير الطبري:** المسمى بجامع البيان في تأويل القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تح. محمد أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .
- **تفسير القرطبي :** المسمى بالجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- **تهذيب اللغة:** لأبي منصور محمد بن احمد الأزهرى ، القاهرة - مصر ، ١٩٦٤-١٩٦٧م .
- **التيسير في القراءات السبع :** لأبي عمر وعثمان بن سعيد الداني ، تح. اوتوبرتزل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م .
- **الجمال في النحو:** لأبي القاسم الزجاجي ، تح. د. علي توفيق الحمد ، دار الامل ، الاردن ، ط ١ ، ١٩٨٤م .
- **حاشية الدسوقي على مغني اللبيب :** للشيخ مصطفى محمد الدسوقي ، دار السلام ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .
- **الحجة في القراءات السبع :** لابن خالويه ، تح. د. عبد العال سالم مكرم ، بيروت - لبنان ، ١٩٧١م .
- **حجة القراءات :** لعبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تح. سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
- **الحجة للقراء السبعة :** لأبي علي الحسن بن احمد الفارسي ، تح. كامل مصطفى الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- **خزانة الادب ولب لباب لسان العرب :** لعبد القادر بن عمر البغدادي ، مطبعة بولاق ، ١٢٩٩هـ - ١٨٨٣م .

- **الخصائص** : لابي الفتح عثمان بن جني ، تد . محمد علي النجار ، عالم الكتب ، بيروت .
- **ديوان حسان بن ثابت** : منشورات دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٦١م
- **ديوان رؤية** : نشره وليم الورد ، ليبرج ، ١٩٠٢م .
- **ديوان الفرزدق** : شرح عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة - مصر ، ١٩٥٨هـ .
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : لابي الفضل الالوسي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .
- **زاد المسير في علم التفسير** : لعبد الرحمن بن علي الجوزي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ .
- **شرح التسهيل** : لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الاندلسي ، تد . د. عبد الرحمن السيد ، د. محمد بدوي المختون ، مطبعة هجر ، عمان - الأردن ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
- **شرح التصريح على التوضيح** : لخالد الأزهرى ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر .
- **شرح الدماميني على مغني اللبيب** : لمحمد بن أبي بكر الدماميني ، تد . احمد عزو عناية ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- **شرح جمل الزجاجي** : لابي الحسن علي بن عصفور الاشبيلي ، تد. د. صاحب ابو جناح ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
- **شرح ديوان المتنبي** : لعبد الرحمن البرقوقي ، المكتبة التجارية ، القاهرة - مصر ، ١٩٣٠م .
- **شرح شواهد المغني** : لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت - لبنان .
- **الصاحبى في اللغة** : لابن فارس ، تد . احمد الشويمي ، بيروت ، ١٩٦٣م

- **الصاحح** : لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تح. احمد عبد الغفور ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .
- **غيث النفع في القراءات السبع** : للشيخ علي بن محمد السفاقي ، تح . احمد محمود عبد السميع ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .
- **فتح القدير** : لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .
- **فقه اللغة وسر العربية**: لعبد الملك بن محمد الثعالبي ، تح . الالبيري وشلبي ، البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٥٤ م .
- **الكتاب** : لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، ١٣١٦ هـ .
- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل** : لابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل** : لإسماعيل بن محمد الخازن ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- **لسان العرب** : لمحمد بن مكرم بن منظور ، بيروت - لبنان ، ١٩٦٨ م .
- **ما اتفق لفظه واختلف معناه** : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، المطبعة السلفية ، مصر ، ١٣٥٠ هـ .
- **مجاز القرآن** : لأبي عبيدة معمر بن مثنى . تح . فؤاد سزكين ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م .
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: لعبد الحق بن غالب الاندلسي ، تح . عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- **المحكم والمحيط الأعظم**: لعلي بن إسماعيل بن سيده ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .
- **مختصر السعد شرح تلخيص مفتاح العلوم** : لسعد الدين التفتازاني ، تح . د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

- **المخصص في اللغة** : لعلي بن إسماعيل بن سيده ، مطبعة بولاق ، مصر ، ١٣١٨ هـ .
- **مشكل اعراب القرآن** : لابي محمد مكي بن بن ابي طالب القيسي ، تح. د. حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م
- **المصباح المنير**: لأحمد بن محمد الفيومي ، تصحيح مصطفى السقا ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر .
- **معالم التنزيل**: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تح. خالد العك ، مروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- **معاني القرآن** : لابي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تح. محمد علي النجار ، احمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠ م .
- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**: لعبد الرحمن بن احمد العباسي ، تح. محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ، ١٣٦٧ هـ
- **مغني اللبيب عن كتب الاعاريب** : لإبن هشام الانصاري ، تح. مازن مبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- **مفاتيح الغيب** : لمحمد بن عمر الرازي ، المطبعة البهية ، القاهرة - مصر .
- **مفتاح العلوم**: للسكاكي ، المطبعة الأدبية ، القاهرة - مصر ، ١٣١٧ هـ.
- **المفصل** : للزمخشري ، دار الجيل ، بيروت ، ط٢ .
- **المقتضب** : لابي العباس محمد بن يزيد المبرد ، تح. محمد عبد الخالق عزيمة ، دار الكتب ، بيروت.
- **النشر في القراءات العشر** : لمحمد بن احمد ابن الجزري ، صححه / الشيخ محمد علي الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- **نظم الدرر في تناسق الايات والسور** : لبرهان الدين البقاعي ، تح. عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- **النكت والعيون** : لعلي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي ، تح. السيد عبد المقصود ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .